

84

قصص

الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (28)

غزوة الخندق

يقدمه: د. عبد الحميد عبد القادر
رسم: د. عبد الشافي سعيد
إشراف: د. حسني مصطفى





بعد جلاء يهود (بنى النضير) عن المدينة المنورة ،
 ذهب جماعة من زعمائهم إلى مكة ، وعلى رأسهم
 (سلام بن أبي الحقيق) و (حي بن أخطب) وحرصوا
 زعماء قريش على حرب رسول الله ﷺ ، قائلين لهم إنهم
 سيكونون معهم حتى يقضوا على محمد وأصحابه ..
 فلما سمع منهم زعماء قريش ذلك فرحوا ، وأخذوا

يَعِدُّونَ الْجُنُودَ وَالسَّلَاحَ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَصْحَابِهِ بِالْمَدِينَةِ ..

ثُمَّ خَرَجَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى قِبَائِلِ
(غُظَفَانِ) وَقِبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ ، وَأَنَّ
قُرَيْشًا تَعْدُ الْعُدَّةَ لِدَلِكِ ..

وَهَكَذَا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَغُظَفَانُ وَمَنْ تَابِعَهُمْ مِنَ
الْعَرَبِ بِجَيْشٍ تَعْدَادُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ يَقُودُهُ
(أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ) ..

وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخُرُوجِ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ
لِغَزْوِ الْمَدِينَةِ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ ، وَتَشَاوَرَ مَعَهُمْ فِي
وَضْعِ خُطَّةٍ لِلدَّفَاعِ عَنِ الْمَدِينَةِ .. وَاسْتَقَرَّ الرَّأْيُ عَلَى
حَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ لِحِمَايَتِهَا مِنْ غَزْوِ الْأَعْدَاءِ ..
وَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ ﷺ فِي حَفْرِ
الْخَنْدَقِ بِجَدٍّ وَاجْتِهَادٍ ، بِرَغَمِ صُعُوبَةِ الْعَمَلِ وَقِلَّةِ الطَّعَامِ ،
حَتَّى بَلَغَ بِهِمُ الْجَهْدُ وَالتَّعَبُ مَبْلَغًا عَظِيمًا ..

وفي أثناء العمل في حفر الخندق ظهر للمسلمين
الكثير من كرامات رسول الله ﷺ ، نكتفي بذكر
بعضها هنا ..

من ذلك أن الصحابي الجليل (سلمان الفارسي) رضي الله عنه
كان يمسك معوله ويضرب به صخرة قوية
اعترضت طريقه ، لكن الصخرة لا تتحطم ، حتى
تعب (سلمان) رضي الله عنه ..

وكان رسول الله ﷺ قريباً من (سلمان) فأخذ منه
المعول ، وقال : «بسم الله» .. ثم رفع المعول
وضرب به الصخرة ، فخرج من الصخرة نور ،
وتفتت منها جزء .. ثم رفع المعول وضرب
الصخرة ضربة أخرى ، فخرج منها نور وتفتت من
الصخرة جزء آخر .. ثم رفع المعول وضرب
الصخرة فخرج منها نور وتحطمت عن آخرها ..

وكان (سلمان) رضي الله عنه يرى كل ذلك ، فقال مخاطباً
الرسول ﷺ :

- بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ .. مَا هَذَا الَّذِي
رَأَيْتَهُ يَلْمَعُ تَحْتَ الْمَعْوَلِ ، وَأَنْتَ تَضْرِبُ الصَّخْرَةَ ؟
فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ :

- « أَوْ قَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانَ ؟ » ..
فَقَالَ (سَلْمَانُ) ﷺ :

- نَعَمْ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « أَمَّا الْأُولَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمْنَ ، وَأَمَّا
الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ ، وَأَمَّا
الثَّلَاثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ » ..

وَكَانَ ذَلِكَ إِشَارَةً مِنَ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْبِلَادِ
وَالدُّوَلِ الَّتِي سَتُفْتَحُ فِي شَتَّى بَقَاعِ الْأَرْضِ عَلَى
أَيْدِي أَصْحَابِهِ ﷺ ، وَالَّتِي سَيَعْمَهَا نُورُ الْإِسْلَامِ ..
وَلَمَّا فَرَّغَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ حَفْرِ الْخَنْدَقِ حَوْلَ
الْمَدِينَةِ ، أَقْبَلَ جَيْشُ قُرَيْشٍ وَجُيُوشُ الْأَحْزَابِ ،
وَعَسَكُوا خَارِجَ الْمَدِينَةِ ..

وأمر الرسول ﷺ النساء والأطفال بأن يبقوا في
الحصون والبيوت ، بينما توزع الرجال حول
الخندق لحراسته من اقتحام الأعداء ..
وكان يهود (بنى قريظة) لا يزالون داخل المدينة ،
وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد وجوار ، بأن
ينصر كل من الفريقين الآخر ، وألا يتحالف مع
أعدائه ضده ..

وذهب عدو الله (حيي بن أخطب) إلى (كعب بن
أسد) زعيم (بنى قريظة) وحرصه على نقض عهده
مع رسول الله ﷺ ، والانضمام إلى أعدائه من
قريش وغطفان والقبائل العربية ، الذين جاءوا
لحربه بعشرة آلاف مقاتل ..

ورفض زعيم (بنى قريظة) في البداية الاستماع
لتحريض (حيي) ونقض عهده مع الرسول ﷺ ، لكن
عدو الله أخذ يزين له الأمر ، حتى وافق على نقض
العهد والانضمام لأعداء المسلمين ..

وَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَقْضِ يَهُودَ (بَنَى قَرْيَةَ)
لِلْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَعَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ ، فَاشْتَدَّ
الْخَوْفُ بَيْنَ بَعْضِهِمْ ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَعْدَاءَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَالْيَهُودِ يُحِيطُونَ بِهِمْ مِنْ أَعْلَى الْمَدِينَةِ وَمِنْ أَسْفَلِهَا ..
وَحَاصِرُ الْمُشْرِكُونَ الْمَدِينَةَ قُرَابَةَ شَهْرٍ ، دُونَ أَنْ
يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قِتَالٌ ، إِلَّا مَنَاوِشَاتٌ



قليلة حول الخندق ، وفي كل مرة يحاول بعض
الكفار اقتحام الخندق كان فرسان المسلمين
يتصدون لهم ويردونهم مهزومين ..

و ذات يوم خرج عدة فرسان من معسكر قريش
يتقدمهم (عمرو بن عبدود) و (عكرمة بن أبي جهل)
وبحثوا عن مكان ضيق في الخندق فاقتحموه
بخيولهم ، ووقف (عمرو بن عبدود) فوق جواده
مخاطبا المسلمين في زهو وخيلاء ، قائلا :

- من يبارز ؟ هل من أحد يبارزني من المسلمين ؟

فخرج إليه (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه وتصدى
لمبارزته ، لكنه قبل أن يبارزه دعاه للإسلام ، قائلا :

- إني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام .

فقال (عمرو) في غرور :

- لا حاجة بي لذلك ..

فقال (علي) رضي الله عنه :

- فإني أدعوك إلى النزال ..

فَقَالَ (عَمْرُو) :

- لِمَ يَا بَنَ أَخِي ، وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ ..

فَقَالَ (عَلِيٌّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ ..

وَأَقْبَلَ عَدُوُّ اللَّهِ عَلَيَّ (عَلِيٌّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُارِزُهُ بِسَيْفِهِ ،

فَبَارِزُهُ (عَلِيٌّ) وَقَتْلَهُ فِي الْحَالِ ، وَكَبُرَ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ،



فكَبَّرَ الرَّسُولُ ﷺ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَرِحَا
بِنَصْرِ اللَّهِ ، وَفَرَّ بَقِيَّةُ الْمُشْرِكِينَ عَائِدِينَ إِلَى
مُعَسْكَرِهِمْ مِنْهَزِمِينَ ..

وَكَانَ (نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ) قَدْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ حَدِيثًا ،
وَلَمْ يَكُنْ قَوْمَهُ ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ قَدْ
عَلِمَ بِإِسْلَامِهِ بَعْدَ ، فَجَاءَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ ، وَقَالَ لَهُ :
- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ
يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ ..

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ :

- « إِنَّمَا أَنْتَ فِينِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَخُذْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ ،
فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ » ..

وَوَاتَتْ (نُعَيْمًا) فِكْرَةً ، فَتَوَجَّهَ إِلَى يَهُودِ (بَنِي
قَرِيطَةَ) ، وَقَالَ لَهُمْ :

- أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَدَى وَدَى لَكُمْ ، وَحُبِّي إِيَّاكُمْ ،
وَحَوْفِي عَلَيْكُمْ ..

فَقَالُوا لَهُ :

- نعم نعلم ذلك ، فأنت حبيباً وحليفاً ..

فقال (نعيم) :

- هذا البلد بلدكم فيه أرضكم ودياركم وأموالكم
وساؤكم وأبناءؤكم : وقد نقضتم عهدكم مع محمد
وأصحابه وتحالفتم مع أعدائهم من قريش وعطفان ..
فقالوا له :

- نعم قد فعلنا ذلك ..

فقال (نعيم) :

- إن قريشاً ومن معها من العرب قد جاءوا إلى هذا
البلد يتهبون فرصة للانتصار على المسلمين ، فإن
وجدوها كان بها وإلا عادوا إلى بلادهم ، وتركوكم
لمحمد وأصحابه يتقمون منكم شر انتقام
ويحرخونكم من دياركم بعد أن يقتلوكم ويأخذوا
أموالكم ودياركم وأرضكم .

فَقَالُوا لَهُ :

- وَمَاذَا تُشِيرُ عَلَيْنَا لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ
الَّتِي أَوْقَعْنَا فِيهَا (حَيَّ بْنَ أَحْطَبٍ) ..

فَقَالَ (نُعَيْمٌ) :

- أَنْصَحُكُمْ أَلَّا تُقَاتِلُوا مَعَ قُرَيْشٍ وَعِظْمَانِ ، حَتَّى
تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَحَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ عِنْدَكُمْ رَهًا ،
حَتَّى تَأْمُرُوا أَعْدَاءَ تَحْلِيهِمْ عَنْكُمْ صَدَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ..

فَقَالُوا لَهُ :

- لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ الصَّوَابِ . سَوْفَ يَطْلُبُ
مِنْهُمْ ذَلِكَ ..

وَتَوَجَّهَ (نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ) فِي الْحَالِ إِلَى مُعَسَّكَرِ
قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لـ (أَبِي سَلْيَانَ) وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَشْرَافِ
قُرَيْشٍ

- تَعْلَمُونَ مَدَى حَيِّ لَكُمْ وَبَعْضِي لِلْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ
عَلِمْتُ أَمْرًا حَظِيرًا ، فَحَيْثُ لَا يُلْعَكُمُ بِهِ فِي الْحَالِ ،

وَأَرْجُو أَنْ تَكْتُمُوا مَا سَوْفَ أَقُولُهُ لَكُمْ ..

فَقَالَ (أَبُو سَفْيَانَ) :

— نَعْلَمُ مَدَى وَدِّكَ لَنَا ، وَسَوْفَ نَكْتُمُ عَنْكَ مَا نَسْمَعُ مِنْكَ ..

فَقَالَ (نُعَيْم) :

— لَقَدْ نَدِمَ يَهُودُ (بَنَى قَرِيبَةً) عَلَى نَقْضِهِمْ عَهْدَ مُحَمَّدٍ

وَتَحَالَفِهِمْ مَعَكُمْ ، وَقَدْ أَرْسَلُوا لِمُحَمَّدٍ ،



يَقُولُونَ لَهُ : لَقَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا ، فَهَلْ
يَرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ رَجَالًا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ
وَعُظَمَاءِنَ ، وَنُسَلِّمَهُمْ لَكَ حَتَّى تَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، ثُمَّ
نُحَارِبَ مَعَكَ مَنْ تَبَقَّى مِنْ جُيُوشِهِمْ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُمْ
عَنْ آخِرِهِمْ .. وَقَدْ وَاثَقَ مُحَمَّدٌ عَلَى ذَلِكَ وَقَبِلَ
تَوْبَتَهُمْ وَنَدَمَهُمْ ..

فَقَالَ (أَبُو سَفْيَانَ) فِي غَيْظٍ :

— وَمَاذَا تُشِيرُ عَلَيْنَا يَا نُعَيْمُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟

فَقَالَ (نُعَيْم) :

— إِذَا أُرْسِلَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ رَهَائِنَ مِنْ أَشْرَافِكُمْ
فَلَا تُعْطُوهُمْ رَجُلًا .. لَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ ..

وَتَوَجَّهَ (نُعَيْم) بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مُعَسْكَرِ (عُظَمَاءِنَ) ،
فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ .. وَهَكَذَا أَوْقَعَ الشُّكَّ
وَالْخَوْفَ فِي قُلُوبِ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ تَجَاهَ الْفَرِيقِ الْآخَرَ ..
وَنَجَحَتْ خِدْعَةُ (نُعَيْم) فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْيَهُودِ
وَالْمُشْرِكِينَ ..

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ أَرْسَلَ (أَبُو سُفْيَانَ) وَقَدَا
إِلَى يَهُودِ (بَنِي قُرَيْظَةَ) بِقِيَادَةِ (عَكْرَمَةَ بْنِ أَبِي
جَهْلٍ) يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ الْخُرُوجَ مَعَهُمْ غَدًا لِقِتَالِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا لِلْوَقْدِ :

- لَا نَخْرُجُ مَعَكُمْ لِقِتَالِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، حَتَّى
تُعْطُونَا رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِكُمْ يَكُونُونَ رَهَائِنَ عِنْدَنَا ،
حَتَّى إِذَا انْهَزَمْتُمْ لَا تَتْرُكُونَا نَوَاجِهَ انتِقَامِ الْمُسْلِمِينَ
وَحَدَّنَا ، وَتَعُودُوا إِلَى بِلَادِكُمْ سَالِمِينَ ..

فَلَمَّا عَلِمَ (أَبُو سُفْيَانَ) وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانٍ
بِذَلِكَ ، قَالُوا :

- لَقَدْ صَدَقْنَا (نُعَيْم) ..

وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يَقْدَمُوا رِجُلًا وَاحِدًا مِنْهُمْ لـ (بَنِي قُرَيْظَةَ) ..

وَلَمَّا عَلِمَ (بَنُو قُرَيْظَةَ) بِذَلِكَ ، قَالُوا :

- هَذَا الَّذِي حَدَرْنَا مِنْهُ نُعَيْم ..

وَرَفَضُوا الْقِتَالَ مَعَ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانٍ ..

وهكذا وقع الخلاف بين الفريقين ..

وَأَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - رِيحًا شَدِيدَةً بَارِدَةً فِي لَيَالٍ
شَدِيدَةِ الْمَطَرِ عَلَى مُعْسَكَرِ الْمُشْرِكِينَ ، فَاقْتَلَعَتْ
خِيَامَهُمْ ، وَقَلَبَتْ قُدُورَهُمْ ، وَاقْتَلَعَتْهُمْ مَعَ إِبِلِهِمْ
وَخَيْلِهِمْ عَنِ الْأَرْضِ ، فَفَرُّوا مَذْعُورِينَ ، وَعَادُوا
مَهْزُومِينَ ، وَحَفِظَ اللَّهُ - تَعَالَى - رَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ ،
وَكَفَاهُمْ شَرَّ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، وَعَادَ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ إِلَى
مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإصدار : ١٩٩٩ / ٤ - ٢٠٠٤

الترقيم الدولي : ٩٦٢ - ٣٧٤ - ٠١٠٢

فصل الأنبياء • الكتاب التالي •

محمد (صلى الله عليه وسلم)

غزوة بني قريظة (٢٩)

• احرص على اقتنائه •